دراسةٌ في الخطبة السادسة والثمانين لنهج البلاغة في ضوء نظرية أفعال الكلام

الدكتور علي أفضلي
أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها
بجامعة طهران، إيران

سعيد بهمن آبادي
طالب مرحلة الدكتوراه، قسم اللغة العربية
وآدابها بجامعة طهران، إيران

أمينة سليماني
طالبة مرحلة الدكتوراه، قسم اللغة العربية
وآدابها بجامعة طهران، إيران

A Study of the Eighty-sixth Sermon of Nahj al-Balaghah in the Light of the Theory of Speech Acts

Dr. Ali Afzali
Saeed Bahman Abadi
Amina Suleimani

ملخص البحث

هدف هذا البحث دراسة الخطبة السادسة والثمانين لنهج البلاغة في ضوء أفعال الكلام لتبيين الخطاب والتواصل بالتطرّق إلى الأفعال الكلامية في ضوء تقسيم (سرل) لها . فالإمام علي (عليه السلام) وظّف نسبة كبيرة لفعلي الكلام الإخباري والتوجيهي ووصف الباري عزّ وجّل باستعمال الفعل الإخباري. أنّ الله لم يخلق الإنسان عبثاً وهو بالتأكيدعالم ومحيط بالأمور إذ إنّ الإمام عليا (عليه السلام) سعى من خلال الفعل التوجيهي الى توجيه دلالة الأمر والتوصية والنصيحة والنهي والتحذير مطالباً المخاطب بالتغيير في السلوك والحياة ولهذا فإنّ تناسب مقام الخطبة مع الأفعال الكلامية المستخدمة وسياقها ونتاجها الدلالي يشير إلى قوة الإمام علي (عليه السلام) في معرفة مقام المخاطب بالإضافة إلى القدرة في توظيف الأفعال الكلامية المناسبة للمقام والمخاطب في حين إنّ الفعل الكلامي التوجيهي وجّه ضمنياً وتلويحاً وأدّى أثراً أساسياً في التعبير عن المعاني وتوجيه الكلام ودلالته خاصة النصيحة والتحذير بينما لم يستخدم الإمام علي (عليه السلام) الأفعال الكلامية الالتزامية والإعلانية والتعبيرية لأنّها لا تتلاءم مع مقام الخطبة.

الكلمات المفتاحية: الأفعال الكلامية، سرل، نهج البلاغة، الخطبة السادسة والثمانون.

Abstract

The aim of this research is to study the eighty-sixth sermon of Nahj al-Balaghah in the light of speech acts to clarify the discourse and communication by addressing the speech acts according to Searl's divisions. Imam Ali (peace be upon him) used a large proportion of informative verbs and directives، describing the Almighty Allah by using the informative verb. God did not create man in vain، and he is certainly all-knowing and all-encompassing. The Imam Ali (peace be upon him) sought through the directive act to direct the significance of the command، recommendation، advice، prohibition and warning، asking the addressee to change in behavior and life. That is why the appropriateness of the sermon's position with the speech acts used، their context and semantic output indicates the power of Imam Ali (peace be upon him) in knowing the position of the addressee in addition to the ability to employ the speech acts that are appropriate to the position and addressee،

١ – المقدمة

تعدّ الدراسة الحديثة للنص والخطاب دراسة فتية وحديثة في اللسانيات المعاصرة، تتجاوز وصف الجملة وتتناول المعاني الكامنة والخفية وتحظى نظرية الأفعال الكلامية بمكانة عالية في تبيين الخطاب. قدّم هذه النظرية لأول مرة (جون آستين) ثم طوّرها طلابه وقسموها على خمسة اقسام تحت عناوين: الإخباريات والتوجيهات والتعبيرات والإعلانيات والالتزاميات ويمكن معالجة النصوص وخاصة النصوص السياسية والعقائدية من هذا المنطلق والحصول على المعاني والدلالات الكامنة وتفسيرها بشكل واضح.

هذا ويهدف البحث إلى تناول الخطبة السادسة والثمانين لنهج البلاغة في ظلّ نظرية الأفعال الكلامية، مستلاً الأفعال الكلامية وذلك بناء على مقام النص ومقتضاه ولهذا يحدّد الأهداف الآتية:

- الوقوف على المقصود الكلامي لدى الإمام علي (عليه السلام) من بيان الخطبة.
- التطرّق إلى البلاغة اللغوية لنهج البلاغة.

وبناء على هذا نطرح هذين السؤالين:

- ما هي الأفعال الكلامية التي استعملها الإمام علي (عليه السلام) في الخطبة لغرض التعبير عن الأهداف الكلامية؟
- أي فعل كلامي يحظى بنسبة كبيرة في التوظيفات الكلامية؟

١-٢- منهج البحث

هذا البحث يتناول المقام النصّي للخطبة السادسة والثمانين، معتمداً المنهج الوصفي- التحليلي، شارحاً في باديء الأمر التداولية اللغوية، والأفعال الكلامية وأقسامها الخمسة لجون سرل وذلك لتبيين الغرض الكلامي لدى الإمام علي (عليه السلام) وفي القسم التطبيقي نقوم بتحليل نصّ الخطبة على ضوء النظرية المذكورة آنفاً.

١-٣- خلفية البحث

لم يعثر الباحثون على دراسة مشابهة عنواناً إلاّ من اذ المادة وهي عبارة عن مقال تحت عنوان "نگاهی به سبک-شناسی خطبه ٨٦ نهج البلاغه" نشر في ((كنفرانس ملی رویکردهای نوین علوم انسانی در قرن ٢١، عام ١٣٩٦ شـ، على پيرانی شال واشرف پرنوس والهه تميمی)) وتوصّل إلى أن المستويات الأسلوبية الصوتية والنحوية والبلاغية متسقة للتعبير عن أغراض الإمام

علي (عليه السلام) المعنوية وتنسجم مع آراء الإمام علي (عليه السلام).

هذا ويختلف المقال عن بحثنا منهجاً واتجاهاً لأنّ البحث يقوم على الأفعال الكلامية ليقدّم دراسة جديدة للخطبة في ضوء الأفعال الكلامية.

٢- البحث النظري

٢-١- التداولية

ظهرت التداولية لتتناول اللغة وتبيّن أثرها الاجتماعي في المعنى وذلك من خلال المقام والسياق لتعالج دلالة ما ينطقه المتكلم حين التواصل مع المتلقي تفادياً للقراءات السقيمة وألقت الضوء على التواصل إذ تعدّ القضايا المقامية أساساً للتواصل مع المتلقّ ولفهم دلالة ما ينطقه المتكلم.

تعدّ التداولية نظرية مستقلة في السبعينيات من القرن العشرين الميلادي بسبب الاتجاهات الشكلية من مثل علم الدلالة التوليدي ومتأثّرة بعلم الدلالة باذ تدلّ الاتجاهات اللغوية أنّ اللغويين يعتنون باللغة التواصلية كما أنّ الفلاسفة يتناولون اللغة بوصفها نظاماً شكلياً وأداةً للحصول على الإنجازات العلمية، ولهذا فاللغة بناءً على النظريات المعاصرة وسيلة للتواصل بين المجتمع، وعلى هذا تعدّ اللغة وسيلة للتواصل يوظّفها المجتمع لغرض المعاني والتواصل الاجتماعي.[١]

وتبعاً لما جاء نستنتج أنّ اللغة وسيلة معقّدة للتواصل وظاهرة جماعية يختارها المتكلم للتعبير عن المعنى وبحسب المقام والمتلقّي وذلك من خلال الوظائف اللغوية إنجازاً للدلالة وترك الأثر المطلوب على المخاطب.

تتفّق جميع الاتجاهات الفلسفية حول الدلالة على أنّ الغرض الواقع بين المتكلم والمتلقي يفسّر بناءً على السياق ولو يحظون بوجوه متمايزة فيما تشترك التداولية مع هذا المبدأ وتفسّر اللغة في السياق وبعبارة أخرى إنّ "التداولية تعالج وظيفة الألفاظ في التواصل الاجتماعي وتعتني بها في المحادثات وحين التواصل."[٢]

فمن الضروري أن يهتم المستخدم بانتقاء ألفاظ دقيقة وهادفة لأجل تواصل ناجح بالغرض ويضع البصمات على المقام والمقتضى لينقل المعنى إلى المخاطب من جانب ويحصل على المعنى المطلوب من جانب آخر باذ يمكن القول إنّ المقام يؤدّي

أثراً بارزاً في استيعاب مقصود المتكلم وفي نقله إلى السامع.

ولهذا تعالج في التداولية دلالة الجمل وذلك في البيئة الناتجة للغة باذ تؤثّر إلى جانب العناصر اللغوية عناصر مختلفة من مثل الدلالة المكانية والزمنية والاجتماعية والتاريخية والأدبية في تأويل النص.[٣]

والجدير بالذكر أنّ النقاد عالجوا مختلف المعاني الخاضعة للسياق إضافةً إلى أصل السياق ليتسنّى فهم السياق من خلال الألفاظ وتنكشف جوانب من غموض دلالات المتكلم وذلك من خلال الكلام.

هذا و"لا تهدف التداولية إلى الألفاظ بل إلى الأفعال وأغراضها"[٤]

ووفقاً لما جاء يأتي أثر التداولية لتعتني بالسياق ودلالة المتحدث بناءً على المقام وتوظيف الألفاظ تناسباً مع المقام والخطاب والعناصر المقامية وذلك لأجل التعبير عن المعنى للمخاطب والتفاعل معه نفسياً.

ولا يقوم استيعاب السامع في مثل هكذا تواصل على كلام المتكلم بل يدخل في هذا الحيز تأويل السامع لغرض المتكلم وفقاً للمقام وبعبارة أخرى "إنّ التواصل الكلامي ناتج من النقل الدلالي للمتكلم إلى السامع"[٥]

ونشير إلى أنه لا يتحقق هكذا تواصل في عالم الواقع بالمفردات والجمل والتأويل بل يتوجّه بالمقام باذ نحتاج إلى التنقل من الشكل إلى المعنى ومن اللغة إلى التداولية أو المعنى السياقي.

٢-٢- نظرية الأفعال الكلامية

ظهرت النظرية لأول مرة لدى (جون أوستن) ثم طوّرها الفيلسوف الراحل (جون سيرل) وتعتمد على حقيقة أنّ الكلام يمكن أن يتخذ جانباً موضوعياً وعملياً باذ تكمن الأهمية الرئيسة لنظرية الفعل اللغوي في ظهور طرائق جديدة للدراسات اللغوية في أنّ هذه النظرية تخلق جسراً وبيئةً بين النظرية اللغوية المجرّدة والحقائق الموضوعية إضافةً إلى الملاحظات حول كيفية استخدام اللغة كما تمنحنا معلومات مثيرة للاهتمام حول الاستخدام الموضوعي للغة.

يعدّ الفعل الكلامي بحدّ ذاته جانباً مهمّاً من التداولية اذ إنّه يناقش معاني محددة ويحيله المساهمون في الخطاب إلى مكوّنات النص بناءً على معرفتهم الخلفية وتفسيرهم

لسياق النص[٦].

يمكن الاستنتاج أنّ النمط الذي قدّمته نظرية الفعل الكلامي للغة هو الموقف حول استعمال معنى اللغة في السياق، وتضع السلوك اللغوي في صميم الظروف الاجتماعية والبيئة التي تنشأ عنها والدالّة على التواصل والسلوك.

ترتبط نظرية الفعل الكلامي باسم "جون أوستن" اذ لم يقدّم أوستن تشكيل نظرية الفعل الكلامي عمل الكلام لأن عمله كان في النهاية عبارة عن مجموعة من المحاضرات التي ألقيت في جامعة هارفارد في عام ١٩٥٥، تليها عنوان محاضرة "كيف تتعامل مع الكلمات" فيما اقترح أوستن أنه بدلاً من التأكيد على الأثر الوصفي للغة، من الأفضل تعريف اللغة كوسيلة لفعل الأشياء. ويهدف أوستن في البداية إلى تحدّي ما سمّاه مغالطة وصفية. ووفقًا لهذا الرأي، تم اعتبار الأثر الرئيس للغة لإنتاج جمل إخبارية أو لوصف الواقع. ولهذا كان هدفه الأكثر تحديداً هو الاستجابة لاتجاه الوضعية فيما تتعلّق بالعقلانية. فكانت معارضته، في الواقع، للمبادئ الثلاثة التي تكمن وراء موقف المنطقيين الوضعيّين في دائرة فيينا، فيما تتعلّق بالجمل الإخبارية كونها النوع الرئيس للجمل، وإبلاغ الجمل بوصفها الاستعمال الرئيس للغة، وتحديد صدق الكلام وكذبه[٧]

وهكذا، برفضه تقسيم الوضعيّين المنطقيين للغة، قسّم الخطابات إلى فئتين: الإخبار والإنشاء، إذ عدّ الفرق بين الاثنين في قدرة الافتراضات على الصدق والكذب، وسرعان ما أظهرت دراسات أوستن الأكثر تفصيلاً وعمقاً أنّه من الخطأ تقسيم اللغة إلى إخبار وإنشاء لأنّ ما ينطبق على الإخبار ينطبق أيضاً على الإنشاء، وأخيراً ذكر أنّ الأفعال الكلامية هي من نوع الإنشاء والفعل.

هذه هي الطريقة التي توصّل بها أوستن إلى نظرية الأفعال الكلامية وقدّمها لأول مرة تحت ستار نظرية فلسفية باذ يقدّم تعريفا جديدا لنظرية الفعل الكلامي، والذي يقوم على التعرّف على المستويات الثلاثة للعمل المنجز من خلال الكلام، بدلاً من التمييز بين الأفعال والتعبيرات ويُطلق على غلاف هذا العمل الجديد الأقوال التعبيرية والقصدية والعاطفية فيما تعدّ الأفعال التعبيرية بمثابة الفعل الكلامي أو

إنتاج خطاب لغوي دلالي، ويتضمّن هذا الفعل نفسه ثلاثة أفعال فرعية عبارة عن صوتي وبنيوي وبلاغي.[٨]

يُطلق على القصدية الكلام؛ أي التعبير عن العبارات التي تعادل التعبير عن الأقوال أو الإنذارات وإصدار الأوامر والأسئلة ونحو ذلك.

أمّا الفعل القصدي فيرتبط مع مقصود المتكلم وتعبيره تلويحاً ويعني هذا أنّ المتكلم يقصد دلالةً من خلال كلام ما.[٩]

لكن المستوى الثالث هو الفعل العاطفي الذي يعود إلى المتلقي، ويتركه المتكلم إلى المتلقي بعباراته اللغوية، وفهم موقفه ويخلقه من خلال المشاعر ويتطلّب مهارة المتكلم أن يأخذ في الاعتبار جميع جوانب المقام والمقتضى ليكون ناجحا وعلى علاقة فعالة في نفس الوقت.

ينتج المتكلم في هذا المستوى فعلاً يثير مشاعر المتلقي لأنّه يرتبط في الحقيقة مع السامع وبيئته ويتحقّق من خلال ردود المتلقي[١٠]

أخيرا، تجدر الإشارة إلى أنّ أوستن يقسم الفعل الكلامي إلى أنواع مباشرة وغير مباشرة باذ إن الفعل المباشر يبدأ بالضمير "أنا" ويتبعها فعل، وتحتوي الجملة على فعل مضارع تليها فعل، مثل: "أنا (بموجب هذا) أعدك بذلك بدءا من الأسبوع المقبل أدرس". فهذه الجملة تبدأ بضمير، وتحتوي على فعل "واعد" يتناسب مع فعل الكلام. ثم يذكر المتكلم ما يريد القيام به، وهو الدراسة. لكن الفعل غير المباشر هو فعل لا تحتوي فيه الجملة بشكل مباشر على فعل يعني القيام بشيء ما مثل "سأدرس الأسبوع المقبل". ففي هذه الجملة، لم يذكر العمل بذاته. وأيضا لم يذكر ضميرا في بداية الجملة. فمن الواضح أن هذا التقسيم يقوم على ظهور الفعل وعمله غير التعبيري. وإذا أردنا الحديث عن تقسيم الأفعال الكلامية على أساس الفعل غير التعبيري، فعلينا أن نذكر نوعين من الأفعال الإخبارية وغير التعبيرية بناءً على نظرية جون سيرل، والتي سنتحدّث عنها فيما يلي.

٢-٣- الأفعال الخماسية القصدية لسرل

على الرغم من أن أوستن هو مؤسس نظرية الأفعال الكلامية تاريخيًا؛ لكن ممّا لا شك فيه أن جون سرل كان له أثر بارز في الفلسفة في منتصف القرن الماضي من خلال شرح وتفسير وتوضيح

الأساسيات واستخراج المواد وتطبيق نتائج نظرية الأفعال الكلامية ولهذا يمكن عدّ سرل عاملاً مهماً في ربط وجهات نظر فلسفة مدرسة اللغة التقليدية بنظريات فلسفة العقل في منتصف القرن العشرين. اتبع سرل تفكير أوستن في كتابه "أفعال الكلام"، والذي يختصّ بفعل الكلام و يقدّم أنواع الأفعال القصدية ويشرح كل منها بناءً على الظروف، فضلاً عن ربط نظرية الكلام بقضايا اللغة العامة.

أ. الأفعال الكلامية:

١. الفعل الإخباري: يعبرّ هذا الفعل عن إيمان الراوي بصحّة الأحداث ويسعى المتحدّث إلى تطبيق محتوى الافتراضات مع العالم الخارجي. وصف أحداث وظواهر العالم الخارجي والتعبير عن رأي المتحدّث واعتقاده بصحة النظرية هي بعض القضايا التي أثيرت في الفعل الاخباري. الأفعال التي تندرج في هذه الفئة هي: التعبير عن الواقع، الإقرار والاستنتاج، الإدعاء، الإفتراض، التنبّؤ وما إلى ذلك.

٢. الفعل التوجيهي: في هذا الفعل، يستخدم المتحدّث أفعالًا خاصة لتوجيه الجمهور بأداء نشاط في حالة المهمة أو الإكراه في كل من الجوانب السلبية والإيجابية. يحاول المتحدّث تطبيق العالم مع محتوى الاقتراح الذي يتضمّن العمل المستقبلي للمستمع. الأفعال التوجيهية تشمل الطلب، الأمر، النصح، التحذير، التشجيع، الاقتراح وما إلى ذلك.

٣. الفعل التعبيري: القوة غير التعبيرية (القصدي) هذا الفعل يعبّر عن الحالات والمشاعر العقلية حول المواقف والأحداث المحددة. ويرافق هذا العمل المديح والتهنئة والتقدير والاعتذار والثناء والسخرية والإدانة والندم وما إلى ذلك.

٤. الفعل الالتزامي: في هذا الفعل، يلتزم المتحدث بأداء عمل ما في المستقبل؛ لذلك فإنه يعبّر عن نية المتحدث. يتضمّن هذا الفعل وعودًا وتهديدات ورفضًا والتزامات. المتحدث باستعمال هذا الفعل يتعهّد بمواءمة محتوى المقترحات مع العالم الخارجي.

٥. الفعل الإعلاني: الفرق بين هذا الفعل والافعال السابقة هو إحداث تغييرات جديدة في المتلقّي والعالم الخارجي. في هذا الفعل، يعلن المتحدّث عن الظروف الجديدة للمتلقّي؛ جدير بالذكر أن إجراء تغييرات حقيقية في العالم الخارجي من قبل المتحدث

يعتمد على امتلاك الكفاءات اللازمة للتأثير على العالم الخارجي. يعدّ تطبيق الكلمات مع العالم الحقيقي أحد أهداف هذا الفعل. تعدّ أفعال مثل الإعلان والإدانة والتعيين وما إلى ذلك من الأفعال الاعلانية[١١].

ب. الفعل الكلامي اللفظي والضمني

يميّز سرل بين قصد المتحدّث من جهة والمعنى الحرفي للقضايا من جهة أخرى. يقصد المتحدث في الجملة الحرفية بالضبط معنى الجملة؛ لذلك يتوافق المقصود مع معنى الجملة، والتي يتمّ تفسيرها على أنها فعل كلامي مباشر. ومع ذلك، في التعبير مجازي، فإن فهم معنى ما يقال يعتمد على فهم مقصود المتحدّث. بمعنى آخر، في الفعل غير المباشر، يقصد المتحدث ما هو في ذهن المتحدّث وتحتوي الجملة على عبء غير معبّر[١٢].

على سبيل المثال، يمكن القول إن مراعاة الأدب عادة ما تؤدّي إلى فعل كلامي غير مباشر يُطلب منه نية المتحدّث، مثل الجملة: "هل يمكن أن تعطيني كوب الماء هذا" الذي يبدو أنه سؤال ولكنه طلب من المتلقّي الذي يتمّ التعبير عنه بأدب.

سرل في مقالته عام ١٩٧٥، يعرّف فعل الأقوال غير المباشر على أنه "فعل الأقوال التي يتمّ تنفيذ الفعل القصدي بشكل غير مباشر ومن خلال فعل قصدي آخر". على سبيل المثال الجملة "هل يمكن أن تعطيني الكتاب؟" مثل هذه الجملة، بالإضافة إلى نيّة المتحدث، لها فعل قصدي آخر لأن هذا الجزء من القول يمكن عدّه فعلًا هادفًا للسؤال، لكن المقصود من تعبيره هو في الواقع طلب لفعل شيء ما. يعدّد سرل ظروف كل من هذين الفعلين وبالتالي يدعو الفعل القصدي الرئيس للقصد الأساسي ويعدّه مشتقًّا من المقصود الثانوي لجزء الكلام أو نفس السؤال[١٣].

لذلك، يمكن الاستدلال على أن سرل يميّز بين فعل الكلام المباشر وغير المباشر ويعتقد أن الكلمة يمكن أن يكون لها فعل هادف بالإضافة إلى المعنى الظاهر الذي ينوي فيه المتحدّث ويفهمه وفقًا للسياق الاستقرائي للكلمة. وغنّي عن القول أنه في فعل الكلام المباشر، يعتقد أن المعنى الظاهري للجملة هو نفس نية المتحدّث.

٣- سياق الخطبة

تخاطب الخطبة عموم الناس وألقيت في المسجد باذ تطرّقت إلى المعاني

العقائدية والأخلاقية فيما استهلّت الحديث بالقدرة الإلهية المطلقة للعالم والمخلوقات، وعرّجت على أن المخلوقات ملك الله والله قادر على كل شيء وعالم بجميع الأحوال كما يعظ الإمام علي (عليه السلام) المخاطب بموضوعات كالاتعاظ من البلايا والموت و.....

٤- دراسة الأفعال الكلامية في الخطبة

درس البحث في هذا المطاف الأفعال الكلامية لأنّها تبيّن المعاني والدلالات بشكل أفضل لما قصده الكاتب أو الخطيب.

- "قد علم السرائر وخبر الضمائر"

توصيف الباري عز وجل إذ يعدّ هذا الكلام إخباريا ليوجّه الإمام علي (عليه السلام) المخاطب إلى الحيطة والحذر حول علم الله بكل شيء لأجل التحوّل في أعماله فيما يتسم الكلام في هذا المقطع بالحذر وذلك لاستعماله "قد" مؤكداً الفعل الماضي، رافعاً الشكّ والترديد لأجل إثبات الدلالة وتدلّ هذه القضية أنّ الإمام علي (عليه السلام) وظّف وظيفة لغوية تؤكد المعنى وتثبته بالإضافة إلى أنّ الفعل الكلامي الرئيس لا يتناسب مع التوظيف شكلاً.

هذا وفسّر بعض المفسرين لنهج البلاغة الجملة الأولى والثانية في معنى متسق قائلين إنّهما يؤكدان دلالة منسجمة تدلّ على علم الله بالخفايا والكوامن بينما يعتقد البعض أنّ "خَبَرَ" بفتح الباء تدلّ على الابتلاء وبكسر الباء تدلّ على العلم وذلك بناء على استعمال الإمام علي (عليه السلام) بالفتح في قول "إنّما مثل من خبر الدنيا".

ورغم هذا فيتناسب تفسير الابتلاء مع الصواب ولو ينتهي الابتلاء بالعلم بالإضافة إلى أنّ الابتلاء قد يكون كناية عن العلم في حين إنّ الغرض يتسم بعلم الله حول الأسرار والخفايا وهو عالم بكل شيء، عارف بخبث الإنسان وأفعاله ظاهراً وباطناً فيما يدلّ التوظيف أنّ على الإنسان الحفاظ على الأفعال والأعمال.

- "له الإحاطة بكل شيء والغلبة لكل شيء والقوة على كل شيء"

سعى الإمام علي (عليه السلام) بهذا الكلام لوصف خصائص الله وذلك لإحضارها في ذهن المخاطب اذ حشر الدلالة بواسطة الجمل الأسمية (الإحاطة بكل شيء...) للدلالة على الفعل الكلامي الإخباري ويهدف الإمام علي (عليه السلام) من خلال السياق إلى التحذير

لأنّ وهن العقائد والأفكار المنحرفة عمّت المجتمع ولهذا يحاول الإمام (عليه السلام) أن يوجّه الدلالات من خلال هذا الكلام لترك الجرائر والذنوب باذ ينقل الإمام (عليه السلام) إلى المخاطب ضمن الفعل الكلامي الإخباري الفعل الكلامي التوجيهي بالإضافة إلى التكرار الذي يساهم في اتساق الكلام ضمنياً لأنّه يؤصّل المعنى ويمحور الكلام ويقوّي العواطف لأجل تقوية الكلام ويقود الموسيقى في اتساق صوتي محدّد[١٤] باذ استعملت حروفا متسقة للتعبير عن المعاني والاتساق الموسيقى لأنّ تكرار صوت اللام في هذا الكلام يؤكّد هذا كما أنّ صوت اللام يدلّ على الاتساق والإلصاق[١٥] بينما تكرار اللام يدلّ على قدرة الله على كل شيء.

هذا وتؤكد جمله (له الإحاطة بكل شيء) على العام وذلك بعد الخاص لأنّ الكلام السابق يتحدّث عن إحاطة الله العلمية بخفايا الإنسان كما تتحدّث الجملتان الرابعة والخامسة عن القدرة المطلقة لله رغم أنّ الجملة الرابعة متوقّفة على غلبة الله على كل شيء بينما الجملة الخامسة تعبّر عن قدرة الله في القيام بأي شيء.

وبناء على هذا يقول البعض الخلاف بينهما أنّ القوة تعني القدرة على إنشاء والغلبة تدلّ على السيطرة بعد الوجود اذ لا قدرة للمخلوقات دون الله بعد الخلق ولهذا فإنّ الخصائص الخمس المذكورة تفسير علم الله المطلق وقدرته لما أنّ التفات الإنسان بما يمنعه من الذنوب ويساعده على إطاعة الله.

– "فليعمل العامل منكم في أيام مهله قبل إرهاق أجله وفي فراغه قبل أوان شغله"

يقوم الإمام علي (عليه السلام) في الجزء الأول من هذه الخطبة بنصح و ارشاد حول معرفة الله وقدرته وإدراكه لأسرار الكون وأسرار الأفراد وضمائرهم وفي الواقع مقدّمة للتحذير الثاني في هذا الجزء من الخطبة: التحذير حول أنبياء الله وقديسيه جميعهم في قوله: « كلّ من يفعل بما يقول فعليه أنْ يستغلّ الفرصة المتاحة للقيام بالعمل وقبل أنْ يحين وقت موته ويفقد الفرص وقبل أنْ يتورّط فهو يحاول جاهداً في أيام راحته.»

في الواقع، في الجملة الأولى، نتحدّث عن مبدأ الجهد والعمل، وفي الجملتين الأخيرتين اللتين سيتمّ تناولهما، فإنه يحدّد اتجاهه.

ويشار إلى أن: تفسير (أيام مهله) معنى مغلق تفسّره الجملتان التاليتان؛ ورد في الجملة الأولى (قَبْلَ إِرْهَاقِ أَجَلِهِ) مبدأ نعمة الحياة وفي الجملة الثانية (وَفِي فَرَاغِهِ...) ذكرت نعمة الراحة في مواجهة الأعمال والزوجة والأولاد.

مع كل ما قيل، يوجّه الإمام علي (عليه السلام) في هذا الجزء من الخطاب مخاطبه للتفكير حول الآخرة والنظر فيها لهذا العالم في الأيام التي تسبق الموت قبل وصول الموت. ويتمّ استعمال هذا الفعل الكلامي: ليعبّر عن العمل المقنع ولكن استنادًا إلى السياق والمقام، يمكن الاستدلال على أن الإمام عليا (عليه السلام) يهدف ضمنياً إلى تحذير المخاطب، الذي يغمره العالم ومظاهره، لكي يستيقظ من نوم الإهمال وذلك قبل الموت فوفقا للتفسير أعلاه، يعدّ الفعل الكلامي لهذا الخطاب حافزا للتحذير اذ يعني هذا الكلام أن الإمام عليا (عليه السلام) قد استعمل أسلوب المواجهة الروحية لنقل المعنى، وهو ما يتجلّى في "أيام مهله قبل إرهاق أجله" كما زخرف تكرار التضادّ هذه الخطبة فيما أنّ التضادّ أو المقابلة صنعة بلاغية معروفة لانسجام الموسيقى واتساق الكلام المعنوي اذ يحاول الإمام علي (عليه السلام) تصوير حقيقة التقوى الإلهية في هذا الكلام، فيما أن استعماله، بالإضافة إلى جمالية الكلمة، يساعد على فهم المزيد من المعاني وإن التضادّ المستخدم في هذا الكلام يزيد من قوة الموسيقى وتوليد المعنى المنشود لدى المخاطب.

- "لِيُمهّد لنفسه وقدمه وليتزوّد من دار ضغنه لدار إقامته"

وكما ورد في الجزء السابق من الكلام، قال الإمام علي (عليه السلام) في بيان الغرض من هذا الجهد والعمل واتجاهه: "لِيُمهّد لنفسه وقدمه وليتزوّد من دار ضغنه لدار إقامته"

تشير الجملة (وَلْيُمَهِّدْ...) إلى إعداد دار الآخرة، بينما تشير الجملة (وَلْيَتَزَوَّدْ) إلى الحصول على الأطفال والأمتعة. لذلك فإن الفعل الكلامي هو فعل ترغيبي، الذي يظهر في فعل "ليمهّد لنفسه". لكن وفقًا للسياق ولنصّ الخطبة، يمكن القول إن الإمام عليا (عليه السلام) يهدف إلى تقديم النصح والتوصية لمخاطبه وإن على كل إنسان أن يعدّ للذهاب وأن يكون لديه أمتعة من هذا العالم لأن هذا العالم مكان

الهجرة وسيأتي الموت على الجميع، فينبغي على الإنسان التفكير بآخرته والجهد في التقوى الإلهية في هذا العالم طالما سنحت له الفرصة لذلك وفقًا للتفسير أعلاه، فإن الفعل الكلامي هو النصيحة. تنمّي الآليّات البلاغيّة قدرة المتخاطبين على الإقناع ولتحقيق هذا الغرض يجب أنْ تكون عملية الإقناع بطريقة منظّمة يستجمع فيها المتكلّم من أدوات بلاغيّة مختلفة للتأثير في الآخرين وأفكارهم وعقائدهم باذ يجعلهم يقبلون على وجهة النظر في موضوع معيّن فحين التكلّم تتعيّن مراعاة فن القول لتصل إلى قلب المتلقّي وعقله هنا تتولّد عنه الوظيفة الإفهاميّة الإقناعية[١٦] ومن الأدوات التي يتوسل بها للتحقيق الإقناعي هي التضادّ كما استعمل الإمام علي (عليه السلام) صناعة التضادّ في هذا الكلام ذاكراً اللفظ وتضادّه في (دار الضغن ودار الإقامة) وذلك لإقناع المخاطب ولإثارة المعاني.

– "فالله الله أيّها الناس، فيما استحفظكم من كتابه واستودعكم من حقوقه"

في هذا الفعل الكلامي يشرح الإمام علي (عليه السلام) واجبات المخاطب أمام الله تعالى ووفقًا لتصنيف سيرل للأفعال الكلامية، يُعدّ الفعل الكلامي إخباريا ليحذّر المخاطب حول احترام حقوق الله اذ يمكن استنتاج ذلك من سياق نصّ الخطبة إضافة إلى أن الإمام عليا (عليه السلام) استعمل أسلوب التحذير "الله الله" ويبدو أنه يتماشى مع نية الإمام علي (عليه السلام) ليترك قوة دلالية ومعنوية لدى المخاطب. كما استعان الإمام علي (عليه السلام) بلفظي (استحفظ واستودع) اللذين يدلاّن على تحفيز الناس على أداء واجباتهم تجاه الله، وبالطبع هذا له معنى الإنذار، كما تمّ استنتاج المعنى من سياق النص.

– "فإنَّ الله لم يخلقكم عبثا ولم يترككم سدى"

في هذا الكلام يعبّر الإمام علي (عليه السلام) عن أن الله تعالى لم يخلقهم عبثا ولم يتركهم لوحدهم وشأنهم، لذا فإن الفعل الكلامي لهذا الاستعمال هو إخباري بناء على فعلي (لم يخقلكم عبثاً ولم يترككم سدى) ولكن وفقًا لسياق النص فإنه يدلّ على التحذير لإبلاغ المخاطب حول الجهل و الإهمال ومراجعة سلوكه اذ معنى هذا الفعل الكلامي جاء باستعمال التأكيد الذي يتمّ التعبير عنه عن طريق (إنّ) والذي تمّ استعمالها لتقوية الكلام لدى ذهن المخاطب.

يأتي أثر التوكيد في تحقيق الحجاج والإقناع في ارتباطه بالمخاطب اذ يأتي التوكيد لتقرير المؤكد في نفس المخاطب وتمكينه في قلبه وإزالة ما في نفسه من شكّ أو توهّم أو غفلة[١٧].

- "فاستدركوا بقية أيامكم واصبروا لها أنفسكم"

يسيطر الإمام علي (عليه السلام) على المخاطب عن طريق هذا الكلام لأنّه نافع في المخاطب وهو من شروط الفعل الكلامي التوجيهي للمخاطب ليترك أثرا كلاميا إذ يتعيّن هذا المفهوم من خلال استعمال (استدركوا واصبروا) للدلالة على درك الأيام الباقية من الحياة والصبر على الصعاب. فبناء على التحليل آنفا، فإن الفعل الكلامي وفقا لتصنيف سيرل هو من نوع (ترغيبي او نوع آمر) ولكن وفقا لسياق النص، فإن الإمام عليا (عليه السلام) يحذّر المخاطبين، وهم عامة الناس لينتبهوا ويستيقظوا من الغفلة ويدركوا بقية الحياة وأعمارهم المتبقية ولهذا إنّ الفعل الكلامي للكلام يدلّ على التوجيهيه جاء في نظام التحذير ما يتناسبان شكلاً ودلالةً باذ استعمل الإمام علي (عليه السلام) أسلوب التكرار في الأصوات وهو تكرار صوت (الكاف) الذي يدلّ على " الاحتكاك والضخامة والتوكيد"[١٨] إضافةً إلى أنّ هذا التكرار يؤكد تحذير الإمام علي (عليه السلام) كما يتناسب الفعل الكلامي شكلاً ومعنىً.

- "لا ترخّصوا لأنفسكم فتذهب بكم الرخص مذاهب الظلمة"

ينهى الإمام علي (عليه السلام) المخاطبين من تحرير النفس وجاء هذا في قوله (لا ترخّصوا لأنفسكم) للدلالة على فعل كلامي توجيهي كما يصنف ضمن تقسيم سرل بحسب الفعل الكلامي توجيهي ولكن بحسب السياق التحذيري لأنّ الإمام علي (عليه السلام) يحذّر المخاطب من الوقوع في تحرير النفس والإغواء من الشيطان لأنّه هو يهلككم إلى مهلكة. فيدلّ الفعل الكلامي على التوجيه واقعاً وشكلاً تحذيريا ما يتناسبان معاً كما استعمل الإمام علي (عليه السلام) الجناس لتوليف الكلام لأجل الجمالية لتذوّق المخاطب من اذ الجمالية الفنية باذ يستدرك المتلقي من خلال الجناس المعنى ذهناً ما يؤدي الجناس إلى الاتساق والانسجام ولو يقبح كثرة استعماله ولهذا

يشكّل الجناس الموسيقى الداخلية وينشر المعاني ويسخر النفس ويوسع الخيال[١٩] ولهذا وظّف الإمام علي (عليه السلام) الجناس الاشتقاقي (ترخّصوا والرخص، تذهب والمذهب) ليسخّر الدلالة ويؤثّر في المخاطب.

- "جانبوا الكذب فإنّه مجانب للإيمان"

يوجّه الإمام علي (عليه السلام) المخاطب إلى تجنّب الكذب لأنّه يبعد الإيمان، ويشير إلى صفة تهلك الإنسان ويواكبها الإيمان ما تعارض صفة الكذب ونعني أنّ صفتي الإيمان والكذب تتعارضان اذ لا يجتمعان في الإنسان معاً لأنّ إحدى خصائص الإيمان في الإنسان هي الصدق كما أنّ الكذب علامة الكفر ما ظهرت في (جانبوا) وتدلّ على الفعل الكلامي التوجيهي من نوع الإلزام ولكن يدلّ السياق على تحذير الناس من الكذب تاركين إياه لأنّه يبعد الإيمان وينتهي بهم إلى مصير مشؤوم وبناء على هذا إنّ الفعل الكلامي تحذيري ضمن التوجيهي بحسب تصنيف جون سرل ما يتناسب التحذيري شكلا والتوجيهي ضمناً.

هناك إمكانية للإنسان بالنسبة الى سائر المخلوقات في العالم يمكنه قلب الوقائع ويحوّل الحق إلى الباطل والباطل إلى الحق وهل سمعتم أنّ ذئبا ارتدى هيأة الماعز وحل مكانها؟ أو استشرب ماعز طبع الضراوة؟ أو أثمرت شجرة فاكهة ثمرة غير الفاكهة ؟ ولكن يمكن للإنسان أن يحوّل الحقائق والوقائع وذلك بحسب قوة الاختيار والحرية كما نشاهد أنّ الجناة يدافعون عن حقوق الإنسان والمفسدين يحاولون الإصلاح بحسب ما يطلقون على أنفسم دعاة حقوق الإنسان ودعاة الإصلاح وهكذا جاء في القرآن عن هولاء (إن هم إلاّ كالأنعام بل هم أضلّ)[٢٠].

ولو يصدق الإنسان أنّ العالم خلق بناء على نظام هادف وأجزائه مرتبطة ومتسقة ومنتظمة اذ لو وجد خللا في النظام لظهر الخلل ولم يلجأ الإنسان إلى الكذب، ولهذا فأن الكذب مرتبط بأحداث العالم ويوتر على نظام الكلام ويربك الأحداث المرتبطة بالسبب والمسبّب فيما ينكشف الخلل نتيجةً للفشل المحدث.

قال القرآن بحق نبي الله يوسف (عليه السلام) وأخوته (وجاءوا أباهم عشاء يبكون قالوا يا أبانا إنّا ذهبنا نستبق

وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين وجاءوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل)[٢١] أفهم نبي الله يعقوب (عليه السلام) أولاده عن طريق الإجابة أنّهم كاذبون لأنّه لم يمزق قميص يوسف رغم الدم الموجود عليه فكما قال الإمام علي (عليه السلام) أنّ الكذاب يفضح ويعرّى عندما تنكشف أكاذيبه ويسقط إلى الهاوية.

وبشأن كلام الإمام علي (عليه السلام) يمكن القول إنّه استعمل التعليل لتبيين التجنّب من الكذب موظفاً التعليل السببي وذلك بحسب قوله (فإنّه مجانب للإيمان) ما تؤدّي هذه الطريقة اللغوية إلى إقناع المخاطب والتأثير به وتساعد في فهم معاني الخطبة باذ يوظّفه المتكلم لإقامة الحجة والإقناع؛ من الأدوات اللغوية التي تخدم بنية الخطاب مضمونه في العملية الحجاجيّة توظيف ما يعرف بألفاظ التعليل والتي يستعملها المرسل لتركيب خطابه الحجاجي وبناء حججه فيه و منها المفعول لأجله، كلمة السبب ولِأنّ....[٢٢].

- "الصادق على شفا منجاة وكرامة والكاذب على شرف مهواة ومهانة"

يبيّن الإمام علي (عليه السلام) عن طريق استعمال الكلام عاقبة الكاذب والصادق ونهايتهما ويعبّر عن الكرامة للصادق وانقاذه من العذاب، وعن الهاوية للكاذب باذ قدّم الإمام علي (عليه السلام) الفعل الكلامي عن طريق (على شفا منجاة وكرامة والكاذب على شرف مهواة ومهانة) وفيها أنّ الفعل الكلامي للجملة عبارة عن إخباري للتعبير عن العاقبة بينما الدلالة تدلّ على التوصية وذلك بناء على السياق ليرصد بها الإمام علي (عليه السلام) دلالة الاقتداء بالصدق والتحذير عنه لأجل الاجتناب من الكذب بالإضافة إلى ضمّ دلالة التوجيهي للفعل الكلامي بحسب التوصية والتحذير كما يؤثّر السجع في الموسيقى الداخلية لأنّه مثل القافية في الشعر وينظم موسيقى الكلام ويبيّن المعاني إذ وظّف الإمام علي (عليه السلام) في الكلام السجع المتوازي بحسب (منجاة، مهواة، كرامة، مهانة) لينقل المعاني ويترك بصمات التأثير على المتلقّي واختلفت نسبة السجع باختلاف نوع النصّ في نهج البلاغة وقد حازت الخطب على نسبة عاليّة منه مقابل قلة ما ورد في الرسائل والحكم

ولعل ذلك يرجع إلى أنّ الخطبة تعدّ فن مشافهة الجمهور وإقناعه واستمالته[٢٣] عن طريق مخاطبة العقل والوجدان والاعتماد فيها على السمع يكون أكثر لذلك يحتاج المتكلّم إلى مؤثّرات سمعيّة يجسدها السجع تستلزم توظيف إمكانات اللغة من شأنها جعل المتلقّي متفاعلاً مع المعاني الإيحائيّة والأفكار التي يروم المتكلّم إيصالها إلى متلقّيه.

وعلى هذا يقول الإمام علي (عليه السلام) في كلام له "ثمرة الكذب المهانة في الدنيا والعذاب في الآخرة"[٢٤]

إنّ للصدق والكذب صدىً واسعاً ويؤثران في حياة الإنسان ولهذا لو اقيم بنيان أسرة ومجتمع وشعب على الصدق فلن يعم فقدان الثقة فيها ولن تهلك نتيجة الكذب لأنّ الصدق يناسب نظام الخلق وله استمرارية في ذلك لأجل تطابقه مع نظام الخلق وناموس الطبيعة اذ إنّ الكذب يعارض نظام الخلق وبناءً على هذا إنّ القرآن يصف الرسل والأنبياء بالصدق "واذكر في الكتاب إبراهيم إنّه كان صديقا نبيا"[٢٥] كما يأمر المؤمنين الاقتداء بالصادقين والتعايش معهم والملازمة لهم "يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين"[٢٦].

هذا ولو تأسّست أسرة ومجتمع على الكذب والخيانة لعمّهما فقدان الثقة والتشاؤم والخيانة والغدر والعداوة ولتركهما الله على حالهما ويهملهما وذلك بحسب آية "إنّ الله لا يهدي من هو كاذب كفار"[٢٧] بالإضافة إلى قول الإمام علي (عليه السلام) "من عُرف بالكذب قلّت الثقة به من تجنّب الكذب صدقت أقواله"[٢٨] لأنّ الكذب يعارض نظام الخلق ولن يدوم.

– "فلا تحاسدوا فإن الحسد يأكل الإيمان كما [تأكل النار الحطب]"

عن ينهى الإمام علي (عليه السلام) المخاطب في الكلام مجانبة الحسد ضمنياً عن طريق الأمر في قول (فلا تحاسدوا) كما ينضوي الفعل الكلامي تحت التوجيهي وفقاً لتصنيف سرل ولكن يتسم بالتحذير بناء على السياق والمقام ذلك لأنّ الإمام عليا (عليه السلام) يحذّر المخاطب من الحسد لأنّه يهلك الإنسان ويعدم الإيمان إذ إنّ الفعل الكلامي تحذيري يشتمل على التوجيهي فضلاً عن استعمال الإمام علي (عليه السلام) الاستعارة للتأثير في المخاطب مشبهاً (يأكل) بـ(يمحو) مع توظيف القرينة

(الحسد) لإثبات التشبيه إذ وظّف الإمام علي (عليه السلام) الاستعارة للإقناع يمكن الاستعارة أن تتحوّل إلى حجّة عندما تعمل على الإقناع إذ تتعدّى الزخرفة فتصبح أداة إقناعيّة حقيقيّة تُحوَّل ملفوظاً مجرّداً إلى سجل مجازي مقبول لدى القارئ[٢٩] ولهذا وبناء على الشرح المذكور يتناسب الفعل الكلامي الشكلي والضمني.

يشير الإمام علي (عليه السلام) في الكلام إلى صفة الحسد وهي من الصفات المشؤومة والتي تهلك الإيمان وهي خطر على الصحة والعافية والمصاب بها يعدم النعمة ولو لم يعالج هذه الصفة البذيئة تعمّ القلب والنفس والجسم كذلك كما قال الإمام علي (عليه السلام) إنّ "صحة الجسد من قلة الحسد"[٣٠] ولهذا ترتبط صحة الجسم بهدوء النفس باذ تدلّ هذه القضية إلى القضايا الصحية لأنّه أثبت ارتباط كثير من الأمراض بالنفس والمعنوية ولهذا يؤثّر الحسد بالجسم والصحة ويمكنه أن يكون مصدراً للعاهات والأمراض ذلك أن الحاسد يضطرّ حين مشاهدة نعيم الناس في حين يهلك نفسه دون العلم ومتجاهلاً صحته وفقاً لقول الإمام علي (عليه السلام) علي "العجب لغفلة الحساد عن سلامة الأجساد"[٣١] ولقول الإمام علي (عليه السلام) الصادق "الحاسد مضرّ بنفسه قبل أن يضرّ بالمحسود"[٣٢] بالإضافة إلى تصريح القرآن "أم يحسدون الناس على ما أتاهم الله من فضله"[٣٣] "ومن شرّ حاسد إذا حسد"[٣٤].

– "وأعلموا أنّ الأمل يُسهي العقل وينسي الذكر"

بعد أن حذّر الإمام علي (عليه السلام) المجتمع من الحسد حذّره في هذا الكلام من الأماني التي مصدرها الحسد والبغض لأنّ الإنسان يصاب بالاضطرابات النفسية عندما لا ينال الآمال والأماني، ويبغض الآخرين ويحقد عليهم في حين يعيش الإنسان في الأحلام والأماني الوهمية ويتسلّى بها وصولاً لها ويترك العمل وذلك من خلال بذل المساعي ولهذا يشير الإمام علي (عليه السلام) إلى آثار الأماني السلبية.

١. ويمكن تبيين الغفلة ونسيان العقل لـ(ويسهي العقل) وكيف للأمنيات أن تغفل العقل حين تجبره للعمل والمساعي؟

ويجب القول إنّ الأمنية تختلف عن الأمل في حين إنّ الأمل عبارة عن الطلبات المعقولة والحوائج المعيشية وبحاجة إلى المسعى والتعقّل والدعاء والرجاء من الله للوصول إليها باذ إنّ الأمنية عبارة عن طلب غير معقول وقد تخلّ بالعقل وتمنعه من النشاط فيما يترك الإنسان الحقائق والوقائع التي تأمله في الحياة ويتسلّى بالأوهام والأماني الوهمية ويتضرّر عندما لا ينالها ويفقد العقل ويصاب بالاضطراب النفسي والكآبة.

٢. و(ينسي الذكر) ثاني علامة نسيان الذكر لله باذ لا يعدّ ذكر الله بالتسبيح فقط بل يجب الحفاظ على ذكر الله قلباً وروحاً ونفساً كما لا مكانة لله في قلب ضمّ الأماني والأوهام ولهذا من الضروري أن يكون ذكر الله واقعيا حقيقيا إذ لا يجتمع ذكر الله والأماني معاً ولا وجود لله في قلب صحب الشيطان وذلك بناء على آية "ربما يودّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون"[٣٥].

يبيّن الإمام علي (عليه السلام) في الكلام أنّ الأماني تجعل العقل غافلا وناسياً لذكر الله مستعملا الجملة الإسمية (أنّ الأمل يسهي العقل وينسي الذكر) والدالّة على الإخباري الفعل الكلامي إضافةً إلى تحذير المجتمع من أمنيات طويلة ومديدة لأنّها تضرّ بهم سياقاً كما يدل الكلام أنّه تحذيري توجيهي فالإمام علي (عليه السلام) (ع) قد استعمل أداة توكيديّة (إنّ) لأثرها في تقرير المؤكد في نفس المخاطب وتمكينه في قلبه وإزالة ما في نفسه من شكّ وشبهة أو توهّم أو غفلة[٣٦].

- "أكذبوا الأمل فإنّه غرور"

يلزم الإمام علي (عليه السلام) المجتمع أن يكذبوا الأماني ويكذبوها نتيجةً للفعل الكلامي السابق باذ يدلّ الفعل الكلامي أنّه ترغيبي وفقاً لـ(أكذبوا) ولكن السياق والمقام عبارة عن تحذيري للمخاطب باذ يحذر الإمام علي (عليه السلام) الناس من الأماني لأنّها تغري الإنسان وتحوّله إلى شخصية متكبرّة ولهذا يكون الفعل الكلامي المباشر للكلام عبارة عن توجيهي ولكنّه تحذيري بحسب السياق والمقام كما يتناسب الفعل الكلامي مع السياق بالإضافة إلى استعمال الإمام علي (عليه السلام) (فإنّه غرور) للإقناع لأجل

تحذير الناس حول التجنّب من الأماني وفقاً لقوله "الأمل كالسراب يغرّ من رآه ويخلف من رجاء"[٣٧].

هذا وقام البحث بتصنيف الأفعال الكلامية المستخدمة للإمام في الخطبة السادسة والثمانين في الجدول أدناه تلخيصاً:

الكلام	الفعل الكلامي
قد علم السرائر وخبر الضمائر	إخباري - توجيهي
له الإحاطة بكلّ شيء والغلبة لكلّ شيء والقوة على كلّ شيء	إخباري - توجيهي
فليعمل العامل منكم في أيام مهله قبل إرهاق أجله	توجيهى - توجيهي
ليمهّد لنفسه وقدمه وليتزوّد من دار ضغنه لدار إقامته	توجيهى - توجيهي
فالله الله ايها الناس فيما استحفظكم من كتابه واستودعكم من حقوقه	إخباري - توجيهي
فإنّ الله سبحانه لم يخلقكم عبثا ولم يترككم سدى	إخباري - توجيهي
فاستدركوا بقية أيامكم واصبروا لها أنفسكم	توجيهى - توجيهي
لا ترخصوا لأنفسكم فتذهب بكم الرُّخص مذاهب الظلمة	توجيهى - توجيهي
جانبوا الكذب فإنّه مجانب للإيمان	توجيهى - توجيهي
الصادق على شفا منجاة وكرامة والكاذب على شرف مهواة ومهانة	إخباري - توجيهي
فلا تحاسدوا فإنَّ الحسد يأكل الإيمان [كما تأكل النار الحطب]	توجيهى - توجيهي
وأعلموا أنَّ الأمل يُسهي العقل وينسي الذكر	إخباري - توجيهي
اكذبوا الأمل فإنّه غرور	توجيهى - توجيهي

نسبة الاستعمال للأفعال الكلامية للخطبة السادسة والثمانين لنهج البلاغة:

يمكن الاستنتاج وذلك للإجابة عن السؤال المطروح أنّ الإمام عليا (عليه السلام) استعمل فعلي الكلامي الإخباري والتوجيهي لنقل الكلام والتأثير بالمخاطب خاصةً والمجتمع عامةً اذ لم يوظّف الأفعال الكلامية الالتزامية والإعلانية والتعبيرية كما تكثر نسبة استعمال التوجيهي بنسبة ٧٠ بالمئة والإخباري بنسبة ٣٠ بالمئة باذ لم تتناسب الأفعال الكلامية الشكلية مع الحقيقة ويعني هذا أنّ شكل الأفعال الكلامية بنسبة ٣٠ بالمئة تختلف مع الدلالة والمعاني والشرح وذلك بناء على السياق والمقام كما تتناسب الأفعال الكلامية الشكلية مع الواقع بنسبة ٧٠ بالمئة.

النتائج:

أنّ الأفعال الكلامية تواصلية

يوظّفها المتكلم والكاتب بهدف التواصل مع المخاطب.

تبيّن من خلال شرح الأفعال الكلامية أنّ الإمام عليا (عليه السلام) استعمل مختلف الأفعال الكلامية بهدف التواصل مع المخاطب باذ وظّف الإخباري والتوجيهي.

يستخدم الإمام علي (عليه السلام) وصف الله عزوجل وذلك من خلال توظيفه الفعل الكلامي الإخباري بنسبة قليلة مقارنة بالتوجيهي لأنّ هذا الفعل الكلامي يمكنه وصف الله بالإضافة إلى تبيينه عدم عبثية الخلق والاتعاظ وعاقبة الصدق والكذب وسائر المعاني المشار اليها ضمن المقال.

يحتلّ الفعل الكلامي التوجيهي المرتبة الأولى في الاستعمال ويبدو أنّ الإمام عليا (عليه السلام) سعى إلى تحذير المجتمع من الكذب والحسد واللهو، والاتعاظ الموت والتفكير الآخرة لأجل التحوّل في السلوك والعمل في الحياة.

جاء توظيف الإخباري والتوجيهي لأجل ضرورة الخطاب الاتعاظي الذي يستدعي هكذا أفعال كلامية باذ يستخدم هكذا خطاب، هذه الأفعال الكلامية.

يبدو أنّ عدم استعمال الفعل التعبيري والإعلاني والالتزامي جاء لعدم إمكانيتها في التعبير عن دلالة الإمام علي (عليه السلام) المقصودة في الخطبة كما تستدعي هذه الأفعال الكلامية سياقاً ومقاماً يختلف مع الخطبة المذكورة.

ونستنتج من خلال الخطبة أنّ الإمام عليا (عليه السلام) وظّف أفعالاً كلاميةً تلويحية وضمنية تنكشف من خلال السياق والمقام في الخطبة.

الهوامش:

١- جميل، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص٦٧

٢- ليكن، Philosophy of language، a introduction، contemporary.، ص١٣٧

٣- نجفي وآخرون، تحليل متن¬شناسی خطبه شقشقيه بر اساس نظريه كنش گفتاری سرل"، ص١

٤- كوك، زبانشناسی كاربردی، ص ٥٨

٥- فيركلاف، تحليل انتقادي گفتمان، ص ٢٣٥

٦- صفوي، نوشته¬هاي پراكنده (دفتر اول) معنی شناسی، ص ٢٧٢

٧- صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ص ٤٥

٨- ايشاني ونعمتي،"تحليل خطبه حضرت زينب در كوفه بر اساس نظريه كنش گفتاری سرل"، ص٣٠

٩- الشهري، استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، ص ٧٥

١٠- سرل، Expression and meaning، studies in the theory of speech acts؛ صص ١١٩-١١٢

١١- المصدر نفسه، ص ٣٠

١٢- شيمن، از فلسفه به زبانشناسي، ص ٢١٨

١٣- الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، ص٥٦.

١٤- عباس، خصائص الحروف العربية ومعناها، ص ٨٣

١٥- بلخير، آليات الإقناع في الخطاب القرآني سورة الشعراء نموذجا، ص ١٢٧

١٦- الزمخشري، المفصل في علم العربية، صص١١١-١١٢ والعلوي اليمني، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ص ١٧٦

١٧- عباس، خصائص الحروف العربية ومعناها، ص ٨٥

١٨- سالم وحاجي زاده، "زيباشناسی گونه¬های سجع در نهج البلاغه"، ص ٨٥

١٩- سورة الفرقان/ ٤٤

٢٠- سورة يوسف/ ١٦

٢١- الشهري، استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، ص ٤٨٧

٢٢- حسين، فن البديع، ص ٥

٢٣- تميمي الآمدي، تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم، ص٢٢٠

٢٤- سورة مريم/ ٤١

٢٥- سورة التوبة/ ١١٩

٢٦- سورة الزمر/ ٣

٢٧- تميمي الآمدي، تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم، ص ٢٢٠

٢٨- ثابتي، "الحجاج في رسائل ابن عباد الزندي"، ص ٣٠٣

٢٩- دشتي، ترجمه وشرح نهج البلاغه، ص ٦٧٠

٣٠- المصدر نفسه، ص ٦٧٦

٣١- مجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ص٢٥٥

٣٢- سورة النساء/ ٥٤

٣٣- سورة الفلق/ ٢

٣٤- سورة الحجر/ ٢-٣

٣٥- الذراحي،"بلاغة الحجاج في شعر حسن بن الهبل أمير شعراء اليمن"، ص ٢٨٦

٣٦- تميمي الآمدي، تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم،ص ٣١٢

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

١- بلخير، هشام (٢٠١٢)، آليات الإقناع في الخطاب القرآني سورة الشعراء نموذجا، جامعة الحاج لخضر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية.

٢- تميمي الآمدي، عبدالواحد بن محمد (١٤١٠)، تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم، تنقيح سيد مهدي رجايي، قم: دارالكتب الإسلامي.

٣- جميل، عبدالمجيد (١٩٨٨)، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٤- حسين، عبدالقادر (١٤٠٣)، فن البديع، بيروت: دارالشرق.

٥- دشتي، محمد (١٣٨٥)، ترجمه وشرح نهج البلاغه، طهران: فهرست.

٦- الزمخشري، محمود بن عمر (١٣٢٣)، المفصل في علم العربية، ط١، مصر: مطبعة التقدم.

٧- الشريف الرضي (١٤١٠ ه.ق): نهج البلاغة للإمام علي بن أبيطالب (عليه السلام)، شرح الإمام محمد عبده، الطبعة الأولى، بيروت: دار المعارف.

٨- شهري، عبدالهادي بن ظافر (٢٠٠٤)، استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، ط١، بيروت: دارالكتاب الجديد.

٩- شيمن، شيوان (١٣٨٤)، از فلسفه به زبانشناسي، ترجمة حسين صافي، طهران: كام نو.

١٠- صحراوي، مسعود (٢٠٠٥)، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، بيروت: دارالطليعة.

١١- صفوي، كوروش (١٣٩١) نوشته¬هاي پراكنده (دفتر اول) معنى شناسى، ط١، طهران: نشر علمي.

١٢- عباس، حسن (١٩٩٨)، خصائص الحروف العربية ومعناها، دمشق: اتحاد كتاب العرب.

١٣- العلوي اليمني، يحيي بن حمزة (١٩١٤)، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تحقيق سيد بن علي المرصفي، مصر: دارالكتب الخديوية.

١٤- فيركلاف، نورمن (١٣٨٧)، تحليل انتقادي گفتمان، ترجمة فاطمة شايسته پيران والآخرين، طهران: دفتر مطالعات و توسعه رسانه¬ها.

١٥- كوك، كاي (١٣٨٩)، زبانشناسى كاربردى، ترجمة علي روحاني ومحمود رضا مراديان، طهران، نشر راهنما.
١٦- المجلسي (١٣٨٢)، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ج٧٠، ط٤، طهران، اسلامية.
١٧- الملائكة، نازك (٢٠٠٠)، قضايا الشعر المعاصر، ط٢، بيروت: دار العلم للملايين.

- المقالات

١- ايشاني، طاهرة ومعصومة نعمتي قزويني (١٣٩٣)، "تحليل خطبه حضرت زينب در كوفه بر اساس نظريه كنش گفتارى سرل"، مجله تخصصى مطالعات قرآن و حديث، السنة ١٢، العدد ٤٥، صص ٢٥-٥١.
٢- ثابتي، يمينية (٢٠٠٧)، "الحجاج في رسائل ابن عباد الزندي"، مجلة الخطاب، جامعة مولود معمري، العدد ٢، صص ٢٨٤-٣١٦.
٣- الذراحي، أمة الكريم، بيگدلى، سعيد بزرگ، پروينى، خليل (١٣٩١)، "بلاغة الحجاج في شعر حسن بن الهبل أمير شعراء اليمن"، مجلة الأدب العربي، العدد ٤، صص ٢٧٥-٣٠٦.
٤- سالم، شيرين، حاجى زاده، مهين (١٣٩١)، "زيباشناسى گونه¬هاى سجع در نهج البلاغه"، پژوهش¬نامه علوى، العدد ١، صص ٦٧-٩٠.
٥- نجفى ايوكى، على وآخرون (١٣٩٦)، "تحليل متن¬شناسى خطبه شقشقيه بر اساس نظريه كنش گفتارى سرل"، فصلنامه پژوهش¬نامه نهج البلاغة، السنة ٥، العدد ١٩، صص ١-١٧.

- المصادر الانجليزيّة

William G. Lycian. (٢٠٠٨). Philosophy of language، a contemporary.، introduction; Routledge، New York and London.
Searle، j. R. (١٩٦٩). Speech Acts; Cambridge: Cambridge university press.
Searle، j. R. (١٩٨١). Expression and meaning، studies in the theory of speech acts; Cambridge university press.